إضاءة

يُفسّر كمال داود في روايته، بأسلوب سطحي ومن منظور ماهَوي، إرهاب الجماعات التكفيرية الجزائرية، بكونه نابعًا من القرآن والسُّنّة وإثنيّة العرب التي يعتقد أنها تحمل الحنف في كينونتها، لا من سنوات استبداد عسكري وظلم اجتماعي

فارس لونيس

أقنعة بيضاء على جبهة الإسلاموفوبيا

رجعيّات كمال داود ومكافأة «غونكور»

كمال داود في جلسة تصوير في باريس عام 2019 (Getty)

يُمكن للقارئ العربي غير المُطّلع على واقع الساحة الأدبية والفكرية في فرنسا، وخصوصاً في ظل الجمود الفكري والثقافي شبه التام لما يُسمى بالمُثقّفين «السادة الدكاترة» في الجزائر، سواءً كانوا مُفرنسين أو مُعربين أو مُزدوجي اللغة، أن مَنْح «جائزة غونكور» لكمال داود هو بالفعل «أبرز تكريم أدبي فرنكفوني» يحصل عليه كاتب جزائري منذ الاستقلال. لكن، وبعيداً عن أي قيمة أدبية أو جمالية، ما كرّم في رواية «حوريات» أو «حور عين» Houris هو محتواها الماهَوي ومواقف كمال داود السياسية التي يُدلي بها، منذ سنة 2014 في أسبوعية «لوبوان» اليمينية المتطرفة، وهي تتمثل في آراء وأفكار رجعية، بمبنية، مناهضة لليسار والحركات التقدمية الفرنسية، معادية لحقوق العُمّال المهاجرين، كارهة للمسلمين والجاليات العربية في حدّ ذاتها، موالية لسرديات اليمين المتطرف الإسرائيلي الكولونيالي، ساكتة عن النكبة وحرب تدمير فلسطين ولُبنان، مُبرّزة في نهاية المطاف إبادة شعب أعزل ومُحتَل منذ مئة عام. و2014 هي أيضاً سنة صدور الطبعة الفرنسية لرواية «ميرسو، تحقيق مضاد»

ونيل الكاتب عنها جائزة «غونكور للرواية الأولى»، التي من علائم انتهازية كاتبها الدالة في وقتها، أن طبعتها الأولى الصادرة في الجزائر عن «دار برزخ» في سنة 2013، مختلفة بعض الشيء - وفي أمور جوهرية من الناحية السياسية - عن طبعة دار «أكت سود» المنشورة في فرنسا في العام التالي، فالنقد الموجه لشخص الكاتب البير كامو في الطبعة الجزائرية أكثر حدّة من نقد الطبعة الفرنسية. في الجزائر، يناهض كمال داود كولونيالية أدب البير كامو؛ أما في فرنسا، فهو يُعرب عن ثنائه على الموهبة الأدبية لصاحب رواية «الغريب»، وعن تبجيله خاصّةً للغة الفرنسية.

منذ صدور «حوريات» في آب/ أغسطس الماضي، زوّج الإعلام المُهيمن في فرنسا، وعلى الساحة الباريسية خاصّة، لرواية كمال داود وسريدته المُزيفة للحرب الأهلية الجزائرية (التي يسميها النظام «العشرية السوداء»، معفياً نفسه من المسؤولية التاريخية والأخلاقية باتجاه كل مواطن جزائري) بنزعة إجماعية وشبه قطيعية، مُجرّدة من أي محاولة نقد أسلوبي، جمالي أو سياسي. ويمكن تزييف كمال داود في ادعائه أن جُلّ الجزائريين لم يكتبوا عن هذه الحرب الدموية سوى كتابين أو ثلاثة وأنه هو الكاتب الوحيد الذي تحلّى بشجاعة تبدو خارقة للعادة لـ«كسر تابو الحرب الأهلية الجزائرية» كما أذعت أسبوعية «لوبوان» Le Point في الثامن من آب/ أغسطس.

وزيادة على هذا، يُفسّر كمال داود في هذه الرواية منزوعة الرُّوح الأدبية، بأسلوب سطحي ومن منظور ماهَوي، إرهاب الجماعات التكفيرية الجزائرية بكونه نابعاً من القرآن والسُّنّة النبوية وإثنيّة العرب، التي يعتقد أنها تحمل العنف والحرب في كينونتها، لا من سنوات استبداد عسكري، وريع اقتصادي، وظلم اجتماعي وتسييس مشين وخطير للدين من أجل محاربة اليسار والأفكار التقدمية في الجزائر. الشيء المُثير للاستهجان في ظل هذا الهيجان الإعلامي حول رواية كاتبنا «العالمي» هو إلغاء عشرات الأعمال الأدبية، التاريخية والسياسية، بالعربية وبالفرنسية، التي تطرّقت بكلّ نزاهة ورزانة للحرب الأهلية الجزائرية، من طرف «الشجاع» داود الذي، ويا عجبًا، يمدح الكُتب والكُتّاب ليلًا ونهارًا. فالشيء الأساسي الذي غاب في قراءات «حوريات»، أن هذا العمل شديد التسييس هو إعادة كتابة معكوسة لرواية مسحها من قائمة أعماله، هي «يا فرعون» (صادرة عن «دار المغرب» في وهران عام 2005). في ذلك العمل، يدافع داود عن أطروحة «العسكر هو المجرم الوحيد» في الحرب الأهلية. أما في «حوريات»، فالأطروحة المدافع عنها هي عكس الأولى: «الإسلاميون هم مجرمو الحرب الأهلية الفعليون». في «حوريات» يبرئ كمال داود استبداد السلطة من خلال اختلاقه لشعب جزائري أحمق، رجعي ومتطرف في جوهره، غير قابل لبلورة مشروع سياسي جاد إلا من خلال الكره الأعمى لفرنسا ولغتها (التي يعتبرها الجزائريون في الحياة العادية واحدة من لغاتهم إلى جانب الأمازيغية في تعدُّد لهجاتها). تنميط الجزائريين في «حوريات» بوصفهم شعباً بلا ذاكرة، ومجرّداً من أي وعي تاريخي وقابلاً لابتلاع خرافات السلطة وخزعبلاتها، أمر يخدم الأفكار والسياسات الرجعية في فرنسا وفي الجزائر أيضاً. وبالنسبة إلى انبهار لجنة «غونكور»، المُكوّنة من كتّاب رجعيين ببيعون الأدب بأثقال التواطؤات السياسية مثل باسكال بروكنير، والطاهر بنجلون وبيار أسولين، بعمل كمال داود الأدبي الجديد، فهو مجرّد مكافأة لمصادقة كاتب جزائري على نظرة نمطية ذات طابع استشراقي للعرب والمسلمين لا تزال تهيمن على أوساط أدبية باريسية، مهووسة بتكريم وتمجيد أشباه الكتّاب والمثقّفين العرب الذين باعوا أنوار ابن رشد وشرارات المعرّي برداءة في سوق «صراع الحضارات» الخرافي. ويمكن للقارئ أن يجد تلخيصاً لاستبدال كمال داود للأدب بسياسات استعمارية في نصّ كتبه بعد السابع من أكتوبر 2023 بعنوان «رسالة إلى صديق إسرائيلي لا أعرفه» («لوبوان»، 23 تشرين الأول/ أكتوبر 2023). يتبنّى سردية الاحتلال الإسرائيلي وسرديات أوروبا الاستعمارية حول فلسطين وسائر البلاد العربية.

من حقّ القارئ العربي، خاصة إذا كان من المشرق، أن يعلم أن «أعيان» الأدب الفرنكفوني من العرب، أمثال كمال داود، وبوعلام صنصال، والطاهر بنجلون، وحتى أمين معلوف، هم مجرّد أقلام تهتزّ وتنفعل على أنغام الاضطرابات السياسية؛ أقلام ثملة لا يحقّ لها الكلام إلّا إذا نطقت وصرخت بشهادة «أشهد أنه لا يمكن للغرب أن يعيش إلّا في صدام دائم مع الشرق وأن مشاكل العرب والمسلمين نابعة من صلب لغتهم وجوهر دينهم».

واعتراضًا على ضعف تحليل بعض «السادة الدكاترة» الجزائريين الذين يتهكمون على شخص كمال داود، واصفين إياه بـ«الحركي» و«الخائن» و«ابن فرنسا»، على الناقد فهم وتحليل انبهار بعض أشباه الكتّاب العرب باليمين المتطرف الأوروبي والإسرائيلي في سياقه السياسي والفكري والاقتصادي، للتمكن من كسر الشرخ الوهمي بين «الشرق والغرب» الذي يحجب عن الكثير من العرب رؤية مشاكلهم الأساسية، التي تكمن في ديمومة الأنظمة العسكرية والنيوليبرالية وحالة الاستلاب الثقافي المتحالفة معها.

(كاتب وصحافي من الجزائر)

لجنة كتّاب رجعيين يبيعون الأدب بالتواطؤات السياسية

«حوريات» إعادة كتابة معكوسة لرواية مسحها من قائمة أعماله

لوحات تستعيد أحداث المدينة الفلسطينية المُستعمرة والمُبادة

«أعيان» الأدب الفرنكفوني!

من حقّ القارئ العربي، خاصة إذا كان من المشرق، أن يعلم أن «أعيان» الأدب الفرنكفوني من العرب، أمثال كمال داود، وبوعلام صنصال، والطاهر بنجلون وحتى أمين معلوف، هم مجرّد أقلام تهتزّ وتنفعل على انغام الاضطرابات السياسية؛ أقلام ثملة لا يحقّ لها الكلام إلّا إذا نطقت وصرخت بشهادة «أشهد أنه لا يمكن للغرب أن يعيش إلّا في صدام دائم مع الشرق وأن مشاكل العرب والمسلمين نابعة من صلب لغتهم وجوهر دينهم».

قصائد

ينهمر المطر ليمحو آثار النهب

جاءني الشِّعر يا أبي

سابينا ساتشي

فصيدتان إلى أبي
(إلى ك. ساتشيداناندان)

النهار والليل
مثلما توقظ أشعة الشمس
عينك الثالثة بلمستها يا أبي
تلمع النجوم مثل شموس كثيرة
من أجلي؛ الليل حُمَاي،
عُزلتي المُحكمة، صفحتي
الفارغة، عينونتي المَخْمَخضة،
المتعافية.

سَلَطة البيت
سلطةُ البيت سلبَت لُبّي يا أبي،
الزيتونات الخضراء، الحَسَ، الريحان
المُعطّر بالمرارة، والطماطم التي تتدحرج
من إسنانك، دعنا نترك السماءَ المتراكمة
تجفّ كيفما اتفق على حبل الغسيل،
والريحُ المتناثرة من عاصفة الحرارة
التي تقرص، ولكنها لا تحمل أغنية على
ذيلها الناعم
البالي الذي يسقط حالما تلمسه.

عودة إلى الأصول - بعد نيرودا
جاءني الشِّعر يا أبي
مع صفائح الحبر السوداء السميكة
في رياح الجنوب الموسمية،
مع النهيرات الصغيرة التي نزفت
على الدروب المُتسخة بالحُمرة، المُغمدة
بأسرّة من الحصى وحجارة اللاتيريت،
مع رعد عواصف أكتوبر
التي أرسلت أعشاش الطيور الحبّاكة
إلى نخلات تتمايل بعُنف
مثل ممسوسات في معبد
يرقصن على قرع طبول وكلمات لا تُسمع
زلقةٍ مثل عيون الآلهة السمكيّة.
قبضنا على الشِّعر بوضوح
من الخفقان الفضّي والذُّعر الحيتاني
أطلقناها لتطفو بحرّية، لتصبح مُتهكّمة،
على تيارات مُتزامنة مولودة ذاتياً.
تشبّثت بالغُصن النحوي
لكزنا ثقوب السُّلطعون
في حقول الأرز المولحة الخشنة
حيث تحدّثنا بعض الأحيان
مع الشبح الضاوي للشاعر ب.

جاءني الشِّعر يا أبي
مع الأرجُل البيضاء لأمّ عُقدة
والصُّفرة الهشّة للنبتة الخجولة
وأزهار الأونام سريع الزوال
بجانب مسار الدرّاجات إلى المدرسة.
أحياناً، توسّلت إليّ بعصبيّة
لأُغنّي نيرودا، بمآلويْة
مالحة مُتقطّعة، متحدّية
رئة فالبهم المُزمنة.
أو يمكن أيضاً أن أكتُب أنّ الشِّعر،
تلك المُسرنَمة المُراجيَة المُرنية
كثيراً ما أغفلت الجوهر المرملي
للقوائم المُفصّلة وحُزن
الكتالوجات غير المقروءة
وجمال قُصاصات الورق،
– تلك الأرقّةُ سيئةُ المزاج – بمشيتِها
الوقحة على صفحتك في
نزهة ليليّة، لم تترك لك حتى
سيكارة لتُنفّس بها عن غضبك.

لَم تكن هنا
(إلى نجيب محفوظ)

بحثتُ عن أولاد
الحارة العابسين
الراكضين في ممرّات
الظلال المحفوفة بالمخاطر،
عن السكاكين المرتعشة
والسلالم الحجرية، المُثملة
بالفراجيل الملتوية
للزجاج على الزجاج،
والرنين الأزلي
للزجاج على الزجاج،
عن أشجار الليمون اللاذعة والشاعريّة،
عن قمر الصحراء المخمور
الذي يسعى بتهوُّر
وراء الحافة الحادة للكفاح
أو عن الحجاب الشفاف
لزوجة رجل آخَر.

ولكن في هذه المدينة القديمة
مدينة الحكايا والأساطير،
أنتَ يا محفوظ، الأكبر سنّاً منها،
مؤرّخ القاهرة،
لَم تكن هنا.

أغاني التمرُّد
1: التمرُّد الثالث عشر لديدان الأرض
نحن نفلح الأرض ونحرث الحقل
لا يمكننا الانتظار حتى ترجع الأبقار
إلى مساكنها، لا، نحن نتكاثر
تحت أصابع قدميك ونمضغ بصمت،
نلوك الأرض، نُعدُّك
لتعجيل رعد
نهايتك، التي اقتربت الآن
أقرب فأقرب فأقرب، وينهمر المطر
ليمحو آثار النهب
في بلاشيمادا وشينغارا
نضرب طبلة الشيندا ونهتز رقصاً،
ممسوسين وغاضبين، بينما مؤدّو
الثيّام يتلوّون
وأنتم تمزّقون إربا وتشربون دماء
أرضنا هذه، أرض ديدان الأرض.

في المستنقع بين العلّق
نُخطّط ونقلب الأرض
إلى كلام، نعم، نحن نتكلّم
ليس على تلفازك، بل لكي نُغيّر ونطالب
بالأرض التي نفلحها، الأرض التي نخصُّها
الأرض التي نحن – وليس أنتم – نفهمها.
شاهدوا ديدان الأرض المسلوبة
تتقدم وتتقدم، في انهيار
مسيرتنا التي بلا أرجُل، طيراننا الذي
بلا أجنحة
نقضم ببطء من دون أن تعرفوا
عدسة المَسّاح وشعور المُنقّب
بقيمة هذه الأرض عندما
نهتزّ أقرب فأقرب فأقرب من الأرض تحت
سيقانكم العدّادة الميكانيكيّة الصلبة.

ونمضغ الغصن المثنيّ بالعسل
المجبول من التضامن بينما يشدُّ البارايا
طبلَ شيدناه
ومع الغربان والبُوقيرات والسُّحب
الرعدية نُثقل على أمطار التمرُّد
تعزف البولوفا على قيثارتها المصنوعة
من الصلصال
يشدُّ البارايا طبلته وينقرُ
الثورةَ
ثورة ديدان الأرض، ها نحن نتقدّم،
تعالوا تعالوا أيها الشعب
ها قد حلّ التمرُّد
تمرُّد ديدان الأرض، زغاريد
«ثيّام» الثورة
المسلّوبة –
مطرُ ديدان الأرض والكلمات والديدان.

(ترجمة عن الإنكليزية: أنس طريف)

بطاقة

Sabitha Satchi، شاعرة من مواليد كيرلا، الهند. درست في كيرلا ودلهي ولندن. ودرّست اللغة الإنكليزية في «جامعة دلهي» لخمس عشرة سنة. نُشرت قصائدها في عدد من الأنطولوجيات الشعرية، من بينها: «الغناء في الظلام» (دار بنغوين راندوم هاوس، 2021). و«ديوان بنغوين للشعر الهندي المعاصر» (دار بنغوين، 2021). كما تُرجمت إلى عدد من اللغات العالمية. نالت منحاً وزمالات وجوائز، من بينها «جائزة فيلوبَيلي سريرخا للشعر المكتوب بالبايبارية» (حيث تكتب باللغتَين الإنكليزية والبايبارية). القصائد التالية من مجموعتها الشعرية الأخيرة بالإنكليزية التي تحمل عنوان: «الأخرة».

سابينا ساتشي

معرض

عن مُدن لا تموت سبعة عشر فناناً من أجيال مختلفة

سرديّات فلسطينية عن المحو والتحرّر

يضمّ المعرض المقام حالياً سبعة عشر عملاً، تتوزّع بين اللوحات والأعمال التركيبيّة والفيديو، وتتناول سرديات فلسطينية عن المحو والتحرر

القدس المحتلة ـ **العربي الجديد**

افتُتح مساء الثاني والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، في «مؤسسة الحوش الفنية» بالقدس المحتلة معرض «مُدُن لا تموت: سرديات المحو والتحرّر»، ويضمّ سبعة عشر عملاً تتوزّع بين اللوحات والأعمال التركيبيّة والفيديو لسبع عشرة فنانة وفناناً فلسطينياً من أجيال مختلفة. ويتواصل حتى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري. في عمله «النار» يقدّم بنجي بوبيديجان (1983) فيديو لأحد الحرائق التي وقعت في منطقة وادي الشامي بين القدس وبيت لحم عام 2021، في لقطة طويلة ومؤقتة للوادي المشتعل. يبرز الحدث في سياق كلية الوقت الذي يغطّيه الفيديو وتظهر لقطات للمشهد الطبيعي المنكوب ما بعد الكارثة وتختفي في هيئة أشكال شبحية في الدخان المتصاعد.

أما عمل «المدينة» لتالا صندوقة فهو مشغول من نسيج من حبال قنّ وحبال خيش مصبوغة صباغة طبيعية على إطار من خشب السروف، حيث يبرز شعار «مركز الواسطي» الذي قام بتصميمه الفنان كمال بُلاطه عام 1994.

«الأرَة» عنوان عمل تيسير بركات (1959)، ويتكوّن من إطار نافذة خشبي مطليّ بلون أخضر تبدو عليه علامات الاهتراء والتآكل، ويصوّر امرأة وطفلاً في وضع نائمَيْن، في حين تكشف «خرائط» تينا شيرويل عن الطبقات المتعدّدة للدلالات التي تحملها المشاهد الطبيعية، بالمقابل يقيم رؤوف حاج يحيى في عمله «على مرمى من ركام المدينة» جولة في الإرث المعقّد لتاريخ طويل من الاستعمار والسلب واحتلال المكان والحقوق، وكذلك تبدو مدينة سليمان منصور «المهدّدة»، مجرّد شظايا صغيرة من زيت وأكريليك على قماش ممتدّ.

وتستعيد شروق حرب عنواناً درويشياً «في حضرة الغياب» (16 دقيقة) لشريط الفيديو الذي أنتجته في محاولة لإعادة اكتشاف معاني الحب والصداقة والتاريخ وفلسطين، بينما تُسائل شهد الشمالي، في قصّتها المصوّرة «لم يكن حلماً»، واقع الإبادة الجماعية التي يتعرّض لها أبناء شعبها. ويلقي عبد الرحمن شبانة في فيلمه «كالتفاحة الحمراء» (دقيقة و33 ثانية) الضوء على إمكانات الإنتاج الفني في ظل الإبادة المستمرة.

«شيءٌ ما ميّت في كلّ هندسة» (أربع دقائق) عنوان شريط عبد الله البياري الذي يُحاول أن يفهم السياسات المكانية الاستعمارية في المدينة الفلسطينية بالمقارنة مع الإبادة المدنية الجارية في غزة حالياً، أما عز الجعبري فيحدّق من خلال عمله التشكيلي «ما لا يُرى» في «عين الإبرة» الاستعمارية التي التهمت مدينة الخليل، وفكّكت أرضها عبر نظام الفصل العنصري باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، كما يطرح العزّ حمّاد موضوع التهجير من حارة المغاربة في القدس بشريط يحمل عنوان «الحصين» (ثلاث دقائق).

ويحاول علاء بدران في «ديمومة» إحياء لحظات من أرشيف عائلته عبر تجميد الزمن في ثلاث صور عائلية ثابتة، وتسترجع فيرا تماري وقائع واحداث جرت مع عائلتها قبل النكبة من خلال تسجيلات صوتية (على شكل قراءات) وصور معالجة بعنوان «ذكريات حيّة ومعاشة»، أما لبنى الصانع فترصد في عملها المعماري «لتراقبهم» المشهد السياسي والاجتماعي بديار بئر السبع المتفاعل مع عملية السابع من أكتوبر 2023، ويسعى محمود الحاج في شريطه «تشريح السيطرة» (17 دقيقة) إلى كشف «التطور» الذي رافق الحروب وأدواتها وعلاقة ذلك بالذاكرة والتكنولوجيا، في حين تكثّف لوحة «غزة» لنبيل عنّاني (أكريليك ومواد مختلطة على قماش)، والتي أنجزها عام 2014 ما يريد المعرض قوله عن حال المدينة الفلسطينية المستعمرة والمُبادة.

من المعرض

فعاليات

عند منتصف نهار اليوم الخميس، يُفتتح في «غاليري صالح بركات» ببيروت معرض **تناص** للاختصاصيّ في التخطيط المُدني والمعماري اللبناني **جوزيف حوراني** (1974)، ويتواصل حتى الحادي والعشرين من الشهر المُقبل، بمنحوتات خشبية صغيرة يُعيد الفنان قراءة اللغة العربية، ويستعين بها للتعبير عن واقع مرير تعيشه بلاده.

يُقدّم الكاتب والمترجم المصري **محمد نجيب عوضين** (الصورة) ندوة حول صاحبة **نوبل للأدب** لعام 2024، الروائية الكورية هان كانغ، عند السابعة من مساء الاثنين، الخامس والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، في نادي «جزويت» بالإسكندرية، وتُحاوره فيها الروائية نورا ناجي. سبق لنجيب ان ترجم عدداً من روايات كانغ مثل «دروس إغريقية» و«أفعال بشرية».

يُنظّم فرع «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في باريس، عند السادسة والنصف من مساء الثلاثاء المُقبل، مؤتمراً حول كتاب المؤرّخ الفرنسي **هنري لورنس** (1954/ الصورة) **المسألة اليهودية. المعضلة العربية (1798 - 2011)** الصادر حديثاً عن منشورات «فايارد»، ويُديرها مدير الفرع الباحث سلام الكواكبي.

في «قصر الثقافة» بالجزائر العاصمة، يتواصل حتى العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، معرض **بانوراما الفن التشكيلي الجزائري (1954- 2024)**، والذي افتتح الأربعاء الماضي. يُضيء المعرض المشهد التشكيلي الجزائري خلال سبعين عاماً؛ عبر قرابة 200 لوحة تشكيلية، لفنّانين من تيارات متنوّعة وفترات زمنية مختلفة.